كيف تصبح مدرستك «مدرسة من أجل التنوّع البيولوجي»

عشرة أسباب تجعل الأمر يستحقّ

لماذا نضع التنوّع البيولوجي في صميم المسار التربوي؟

الطبيعة أعظم معلّم متاح لنا، وإن كنّا في الغالب لا ننتبه إلى ذلك. وإفساح مجال لها داخل المدرسة، عبر أنشطة بسيطة كتلك الواردة أدناه، يمكن أن يكون مصدر تعلّم وإلهام لطلاب كلّ الأعمار.

وفي ما يلي عشرة أسباب تجعل من الجدير أن تصبح مدرستك «مدرسة من أجل التنوّع البيولوجي». ولكلّ مدرسة أن توسّع هذه اللائحة وتكيّفها بالتعاون مع طلابها.

1. **يعلّم الصبر والانتظار.** في عالم نريد فيه كلّ شيء، ونحصل عليه غالباً، وفي الحال (لكن بأيّ ثمن؟)، تُذكّرنا العناية بالمساحات الخضراء، والقدرة على مراقبة ما يطرأ على نبتة من تحوّلات، أو انتظار طائر يحطّ على المِعلَف بشغف، بأنّ لكلّ شيء وقته. فللطبيعة، بفصولها وهجراتها ومراحلها، إيقاعات لا تأبه لعجلتنا ولا لتوتّرنا.

2. **يربّي على احترام الاختلاف.** ليس في الطبيعة جميل وقبيح، ولا صواب وخطأ: فالبيئة تعلّمنا أنّ كلّ كائن حيّ، كبيراً كان أم متناهي الصغر، فريدٌ واستثنائيّ وذو قيمة هائلة. وتعلّمنا كذلك أنّه ما من كائن أثمن من غيره، لأنّ الكائنات كلّها ضرورية لتوازن الأنظمة البيئية.

3. **يفعل بنا خيراً.** دراسات أكاديمية كثيرة تؤكّد ذلك: كلّما زاد التماس مع الطبيعة، وخصوصاً لدى الأطفال، ازداد شعور الإنسان بالعافية الجسدية والنفسية. وتوثيق صلة الطلاب بالبيئة يعني الإسهام في تنشئة راشدين قادرين على إدراك قيمتها، وعلى السعي إلى القرب منها، وعلى العيش على نحو أفضل.

4. **يدرّب على العناية.** المثابرة والانتباه اللذان تتطلّبهما العناية بالمساحات الخضراء يقوّيان قدرة الجميع على تحمّل المسؤولية، وهي المسؤولية التي تتوقّف عليها قدرة كائنات حيّة أخرى على النموّ والازدهار. وحين يأتي الربيع أخيراً فيكافئ الجهود بجماله، سيكتشف الجميع ذلك الشعور بالإنجاز والرضا الذي يمنحه التفاني والالتزام.

5. **يُيسّر العمل الجماعي والمشاركة.** يمكن الحفاظ على التنوّع البيولوجي داخل المدرسة وتعزيزه عبر تشجيع التعاون بين الصفوف، وكذلك مع الأهل ومع المجتمع التربوي بأكمله. فيصير ذلك وسيلة لإظهار أنّ شجرة واحدة يمكن أن تُزرع بمفردنا، أمّا الغابة فلا تنمو إلا بمشاركة الجميع.

6. **هو تمرين على تغيير زاوية النظر.** حين يُرى كوكبنا، بيتنا، من الفضاء، يبدو وحدة واحدة: كرة بلا حدود، تحتضن كلّ تنوّع الحياة، بما فيه تنوّعنا نحن. تعلّمنا الطبيعة أنّ علينا جميعاً أن نكون روّاد فضاء بعض الشيء، كلّ يوم، وأن نصير قادرين على النظرة الشاملة، متذكّرين أنّ كلّ ما يجري على الأرض يعنينا، لأنّ كلّ شيء متّصل ومترابط في شبكة كبيرة نحن جزء منها.

7. **الدستور ينصّ على ذلك أيضاً.** منذ عام 2022، عُدِّلت المادة 9 من الدستور الإيطالي لتقرّ بالقيمة الأساسية والمحميّة دستورياً لحماية البيئة والتنوّع البيولوجي والأنظمة البيئية، بما يخدم مصلحة الأجيال المقبلة أيضاً. كما عُدِّلت المادة 41 لضمان ألّا تُلحق أيّ مبادرة اقتصادية خاصة ضرراً بالبيئة والصحة.

8. **ينسجم مع ركن «التنمية المستدامة» في التربية المدنية.** يتلاءم موضوع التنوّع البيولوجي مع كثير من محاور التربية المدنية، فهو مثلاً في صميم الهدفين 14 (الحياة تحت الماء) و15 (الحياة على الأرض) من خطة الأمم المتحدة 2030 للتنمية المستدامة.

9. **يخصّ جميع المواد الدراسية.** منذ أقدم العصور، كان تنوّع الحياة على الأرض مصدر إلهام للعلماء والشعراء والفنانين والباحثين في كلّ فروع المعرفة وفي أنحاء العالم كلّها. ولهذا يستطيع التنوّع البيولوجي أن يُيسّر الربط بين مواد تعليمية عديدة: من الأدب إلى الرياضيات، ومن تاريخ الفنّ إلى الجغرافيا، ومن الفلسفة إلى الكيمياء، وهكذا دواليك.

10. **نحن مدينون له: التنوّع البيولوجي يعتني بنا.** غنى الحياة على الأرض وتنوّعها يضمنان لنا الماء النظيف والهواء الذي نتنفّسه والغذاء والدواء وكلّ ما يحتاج إليه نوعنا كي يزدهر. وفي المقابل، فإنّ الأزمات البيئية الكثيرة التي صنعها الإنسان في زماننا — من تغيّر مناخي وتلوّث واستهلاك للأراضي وغيرها — تنتهي إلى إحداث نتائج خطيرة على التنوّع البيولوجي، أي على الحياة نفسها. ولا بدّ من وقف هذه الدينامية.